وجد له تفسيراً انتروبولوجياً ، فقد جعل شهوة الفجور العارمة لديه مقابلة للغلو والهيام الديني والتطرف في العبادة لديه ، لأنه غير ناضج نفسياً بسبب عقدته (١١) .

وكان بإمكانه الأخذ بمصطلح نفسي من علم النفس ذاته ، وهو العمل الذي أغرم به ، هذا المصطلح الذي لايتناقض مع التصور الإسلامي ، وهو (ازدواج الشخصية) بمعنى أن هناك اتجاهين عاطفيين يتنازعان نفسية الرجل ، ولم يتغلب أحدهما على الآخر ، حب الشهوة واللهو ، والرغبة في التوبة في المراحل الأولى في الأقل . ومن الغريب أن النويهي لم يقر بالتوبة النهائية الصادقة لأبي نؤاس في أخريات حياته !!

أما دراسات الدكتور عز الدين اسماعيل ، فهو على الرغم مما قيل من اعتداله . وهو اعتدال قُصد به الإعتماد على التحليل الأدبي ، ولم يقصد به العزوف عن تطبيق النظريات النفسية على الأدب ، فلو كان كذلك ، لما أُدرج ضمن نقاد المنهج النفسي ، أقول على الرغم مما قيل من هذا الإعتدال ، (فهو لايكاد يعفي شخصية واحدة من الشخصيات التي حللها من بعض العقد النفسية التي بنى عليها الفرويديون أبحاثهم في الأعمال الفنية) (١٢) .

لقد أتيح لي أن أقرأ رواية (السراب) التي حللها الدكتورعز الدين اسماعيل فوجدت أن «صفقة » سرية تعقد اليوم بين الأديب المنتج وبين الناقد ، فأديب مثل نجيب محفوظ قد تثقّف ثقافة فلسفية ونفسية ، يكتب قصصه على ضوء ماتوصل إليه علم النفس ، فيسهل بذلك مهمة الناقد ، فما على هذا الناقد إلا أن يستحضر أبطال العقد النفسية في الأدب اليوناني أو الأوربي الحديث .

لقد مهد محفوظ بوصفه لحيرة (كامل) وتردده وفشله من قضاء إربه من زوجته (رباب)،مهد السبيل إلى الناقد إلى القول بأنه يحتفظ في لاشعوره بحبه الجنسي لأمه ، مما منعه من النجاح في تجربته الجنسية مع زوجته انطلاقاً من عقدة (الفسق بالمحارم) بمعنى أنه استحضر صورة أمه في تلك اللحظة !! فماأسهل هذا الكشف ؟!